القراءة الثالثة
العلاقة بين الباحث الميداني وأفراد المجتمع
وكيف يتم خلق التفاعل الاجتماعي والقيمي بين الاثنين

اولاً : أهمية الدراسات الاجتماعية

لقد ازداد الاهتمام بالعلوم الاجتماعية عامة وبعلم الاجتماع خاصة في الدول النامية نظراً لأهميته في دراسة وتحليل القضايا والمشكلات الاجتماعية التي نشأت بسبب التغيرات السريعة التي تمر ا مجتمعات هذه الدول والتي شملت مختلف جوانب الحياة. كما ازدادت الحاجة إلى المختصين في علم الاجتماع وفروعه المتخصصة ليس للتدريب في المؤسسات التربوية والتعليمية، بل في مجالات الصناعة والتجارة والصحة والإعلام والدفاع الاجتماعي والدين، حيث يقوم المختصون بالدراسات والبحوث القطرية والتطبيقية بقصد تحليل العوامل التي تسهم في التنمية ومعالجة المشاكل المتنوعة. والتخطيط ـ مع المستقبل.

إن دراسة ا مع تتطلب تضافر الجهود والتنسيق بين المتخصصين في العلوم الاجتماعية (علم النفس، والانثروبولوجيا والتاريخ والجغرافية والسياسة والتربية) ذلك لان هذه ا ،الات تستهدف ا مع في ماضيه وحاضره ومستقبله. وتتطلب الدراسات التعاون والتنسيق بين المؤسسات العلمية والجامعات ومراكز البحوث في دعم البحوث العلمية المتكاملة التي تتناول المشكلات الاجتماعية الرئيسة في النظام التربوي والنظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام الأسري الذي يشكل بناء ا مع العراقي. أما علم الاجتماع فقد تميز بتفرده من بين العلوم السالفة الذكر لأنه العلم الذي يدرس النماذج أو النظم الاجتماعية أو انه علم دراسة الوقائع أو الظواهر الاجتماعية، وبعض العلماء يعرفونه على انه دراسة العلاقات الاجتماعية أو البناء الاجتماعي أو العمليات الاجتماعية..

إن دراسة الظواهر الاجتماعية تتم عن طريق استخدام المناهج العلمية التي تقوم على الملاحظة والتجريب واستخدام الأدوات والاختبارات القياسية كما تستخدم في العلوم الطبيعية .. والظاهرة الاجتماعية (وهي الأفعال والأفكار والعواطف والمعتقدات السائدة في ا مع) تخضع لقاعدة البسيط كما أن القوانين الاجتماعية تخضع للجبر والاختيار (أي أن سلوك الإنسان يخضع لمؤثرات اجتماعية وغير اجتماعية).. كما انه يمكن التنبؤ في مجال السلوك الاجتماعي إذا توافرت الظروف التي تؤدي إليها. أي أن دراسة الظواهر الاجتماعية تسمح لنا بالتوصل إلى قوانين وقواعد عامة ، وبالتالي فإ ا تسمح بمستقبل الظواهر الاجتماعية.

نستنتج مما سبق أن علم الاجتماع يستند إلى البحث العلمي وعلى التجارب الميدانية، ويمكن التنبؤ بمستقبل السلوك الاجتماعي تحت ظروف معينة ، كما أن الدراسات الاجتماعية تشمل القواعد والقوانين والنظريات التي تم التوصل إليها عن طريق الأسلوب والمنهج العلمي والواقعي والموضوعي.

وعليه مادمنا قد تحدثنا عن الاجتماع كعلم فلنا أن نشير كما اشرنا في المحاضرة السابقة أن الباحث الإنسان في علم الاجتماع هو الآخر يجب أن يتحلى بمجمل الصفات العلمية . الإنسانية . الاجتماعية التي تؤهله للتفاعل الاجتماعي مع أفراد البيئة التي يدرسها .. والتي سنتعرض لها لاحقاً ومن هذه الصفات:

١. الصدق والأمانة في جمع البيانات وتحليلها.
٢. إتباع الأسلوب العلمي في دراسة المشكلات الاجتماعية والظواهر السليمة أو المعتلة.
٣. الموضوعية وعدم الانحياز لمعتقداته وميوله واتجاهاته.
٤. الشمولية: التحليل بحيث يحلل المشكلة في أبعادها وعواملها المختلفة معتمداً الأخلاقية العلمية العالية في التحليل حتى تلك التي لا تتطابق أو تتعارض مع ميوله واتجاهاته وأهوائه.
٥. مراعاة أخلاقيات المهنة.

ان علم الاجتماع يقوم بدور هام في ا تمع الذي يشهد تغيرات في مختلف مجالات الحياة وفي تشخيص المشاكل الاجتماعية التي تنجم عن التغير السريع، والهوة الحضارية وفقدان المعايير والانحلال الخلقي .. وتتجلى اهمية دوره في الدراسات والتحليلات العلمية التي يقدمها للمخططين وصانعي السياسة الاجتماعية. ومن هنا فاننا سنتعرض في هذه الحلقة النقاشية إلى تبيان كيف يكون الباحث فرداً اجتماعياً يخلف عملية التفاعل الاجتماعي من خلال اتصاله بأفراد عينه دراسته، وكيف يحترم قيم الجماعة ليحصل منها إلى المعلومات المطلوبة.

ثانياً: التفاعل الاجتماعي وأجواءه العامة

مفهوم التفاعل الاجتماعي: الفرد جزء من جماعة ، وكان الجماعة واستمرارها يعتمد بالدرجة الأولى على شكل التفاعل الذي يتم بين أفرادها، كما أن فعالية الجماعة وأهميتها في تقدم ا تمع أو تخلفه يرتبط بخط الاتصال وأساليب التفاعل التي تشكل بالنهاية العلاقات التي تسهم في البناء الاجتماعي.

إن مجرد قيام الجماعة دليل على الاتصال والتفاعل، ولا وجود هذا الاتصال والتفاعل بين أفراد الجماعة لما تكونت الجماعة. ومن ابسط صور التفاعل ذلك التفاعل الذي يتم بين فرد وآخر أو بين أفراد وآخرين عند تبادل التحية، أو قد يكون فعلاً اجتماعياً في مناسبة اجتماعية أو تبادلاً فكرياً وروحياً أو سياسياً أو اقتصادياً

مثل التجمع لأداء الصلاة، شعائر الحج، حضور مهرجان رياضي أو ندوة مسرحية أو تجمع لبحث قضية أو مشكلة اجتماعية أو تربوية.. وعلى هذا يمكن أن نعرف التفاعل الاجتماعي: على انه السلوك المتبادل بين الأفراد والجماعات في مواقف ومناسبات مختلفة. أما بالنسبة للعناصر الأساسية التي تندرج في إطار التفاعل الاجتماعي، فتشمل:

١. الأفراد والجماعات التي يتم بينهم التفاعل.
٢. قضايا وحاجات إنسانية تدعو للتفاعل.
٣. وسائل للاتصال بين الأفراد والجماعات المتفاعلين.
٤. نتائج تترتب على هذا التفاعل.

كيف يحدث التفاعل؟

يحدث التفاعل في صور مختلفة، وقد يكون على نطاق ضيق كما الحال في التفاعل الحادث بين شخصين، وقد يتسع ليشمل التفاعل بين مجموعة من الشعوب والدول، وقد يحدث بصورة تلقائية كتفاعل أفراد الأسرة والجيران وفي تبادل التحية، ويكون بصورة منظمة في محيط العمل وبيئة الأشغال وفي المناسبات التي تخطط لها الجماعة أو المؤسسة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية. وقد يحدث بصورة عرضية مثل حادث سيارة ومشاهدة عرض كما يحدث بين السلطة وا تمع كتفاعل الشرطة مع الشباب المنحرفين والخارجين على القانون، وقد تدعو إليه الضرورة وتبادل الحاجات الاجتماعية (في الجمعية التعاونية في حالات الحرب، في السوق بين البائع والمشتري، بين الطبيب ومريضه).

العوامل المؤثرة في التفاعل

هناك عوامل قد تؤدي إلى زيادة التفاعل كما أن هناك عوامل قد تؤدي إلى أصناف التفاعل أو الحد منه سواء من الناحية الكمية أو النوعية. ومن العوامل التي تؤدي إلى زيادة التفاعل وتكراره، صلات القرابة، الجيرة، اقرب المكاني، الثقافة المشتركة، المصالح المشتركة، وكلما كان عدد الجماعة اقل كلما كانت فرص التفاعل أكثر لأسباب منها:

١. الهدف والمصير المشترك .
٢. فعالية وسائل الاتصال.
٣. التفاهم والتساند بين أفراد الجماعة.